غريب

ذاهلاً عمّا حولَه، غارقاً في لُجَجِ أفكاره، عينان زائغتان لا تريان، يدان إلى جانبيه تتطوحان دونما إرادةٍ منه، تقودُه خطاه حيثُ لا يدري. تتشابه أمام ناظريه الأرصفة، الأماكن، والوجوه... يسيرُ، ويسير، تلفحُ وجهَه نسماتٌ ليليّةٌ باردة في بلدٍ كلُّ شيئٍ فيه غريبٌ، معادٍ، ومتباعد... يطلقُ زفراتٍ حرّى يقطعنَ نياط القلب، يتلفّتُ حولَه، يتلمّسُ بعينيه أيَّ مشهدٍ مألوف يَزيحُ رِزءَ همومِه، يستنجدُ من حولهَ بلسانٍ أبكم، يتسارعُ نبضُه، يلهث، ويلهث، تدورُ عيناه في محجريهما، يدورُ حولَ نفسِه، يتطوّحُ يميناً ويسارا كما السُكارى، يتهاوى على ركبتيه، تتخلى عنه أطرافُه، رأسُه، يتهاوى كلُّ شيئٍ فيه، تتسرّبُ منه إرادتُه كما النّزف... كما الإحتضار. ربتاتٌ حانيات على ظهره، ولسانٌ أعجمي يتساءلُ بلهفٍ أن : خيراً، ما بك؟ !! ترفضُ رأسُه الإنصياعَ للَهَفِ السؤال، يجثو الغريبُ أمامَه مصرّاً : ما بك؟!! إلحاحٌ غريب، في بلدٍ جافٍ، لا يقيمُ وزناً لحاجة إنسان إلى أخيه الإنسان. يرفعُ رأسَه – متجاوباً– رويداً رويدا، بعينيه الجامدتين الذاهلتين ينظرُه، تصافحُ عيناهُ عينين وادعتين، إبتسامةً حنوناً رقراقة، سمتاً حلواً تحتضنه لحيةٌ كثّةٌ جميلة، غدائرُ شعرٍ مرسلات، و مظهراً عاماً لا تخطئه فطرتُه.

تتسعُ عيناه، يلهثُ بها دونَ وعيٍ ولا إدراك : مسلم ؟!!

تتهلّلُ إبتسامةُ الغريب : نعم أخي.

يلهجُ بها : أحتاجُك !!

يجيبُ الأخ – الذي لم يعد غريباً– : جُعِلتُ فداءَك.